ووجهت الرواية بردود فعل متعددة بين مؤيدة ومناهضة. ففي حين رأت جريدة «المحروسة» ان الدعوة القومية تبذر الشقاق بين بني الانسان، اعتبرت «فتى العرب» ان القومية هي السلاح الوحيد لمحاربة الصهيونية والمطامع الاجنبية. اما «الكرمل»، فقد عقبت على ما جاء في «المحروسة» بان عليها ان تغدق بنصائحها على اليهود الذين يعملون لخدمة العنصرية الصهيونية منذ أمدٍ بعيد.

وظهر تراجع نسبي في مواقف بعض من كانوا يدعون الى التفاهم، من امثال رفيق العظم الذي عاد عن بعض مواقفه السابقة فأبدى شكوكاً ازاء النوايا الصهيونية دون ان يتخلى عن طرح مسألة الوفاق المشروط بحسن النية الصهيونية، عملاً لا قولاً. وحسب رأيه، فان هذا الوفاق يتم عبر مؤتمر يشارك فيه الصهيونيون «اذا وافقوا» ولجنة حزب اللامركزيين (الذي يتزعمه العظم). وستقوم لجنة اللامركزيين ببذل المساعي لدى الزعامات الفلسطينية للاشتراك في المؤتمر. وكان ان تبنت «المقطم» وجهة نظر العظم في محاولة متعمدة لجعل الرأي العام يركض وراء سراب[٩٤].

لكن حملة التضليل هذه لم تكن لتنطلي على اصحاب الاقلام المناضلة التي ناهضت الدعوة الى المؤتمر، وكان من بينهم عيسى العيسى ومحمد المحمصاني. غير ان رد نصار كان الاكثر عنفاً وصلابة. فقد بدأ هجومه على «المقطم» بالقول: «على رغم كون صبيان الازقة ما عادوا يجهلون مطامع الصهيونية ومراميها، فـ 'المقطم' لاتزال تنشر لمن تسميهم زعماء الصهيونية اقوالاً تمهيدية، المقصود منها ذر الرماد في الاعين، [فحواها] ان الصهيونيين يريدون الاتفاق مع العرب وانهم مخلصون للعرب والدولة...». ويطلب من «المقطم» «التي نالت شهرة واسعة ومالاً وفيراً على اكتاف العرب» ان لا تستمر حملة التضليل والخداع، ففي ذلك «ايلام العواطف واضعاف الثقة بجريدة يريد العرب ان يضعوا كل ثقتهم فيها»[٩٥].

ولم يتوقف نصار عند حدود التصدي لـ «المقطم». فقد وجه نقده العنيف، صراحة ومباشرة، الى رفيق العظم زعيم جمعية اللامركزية متهماً اياه بالتباين في المواقف، اذ يتكلم عن الخطر الصهيوني حيناً، ويدعو الى التفاهم والاتفاق مع الصهاينة اثر اقتراح تفاهم تضليلي دعا اليه زعيم صهيوني على صفحات «المقطم» حيناً آخر. ويتساءل نصار، بدهشة، كيف يقوم التفاهم مع الصهيونيين وهم يقولون على رؤوس الاشهاد ان فلسطين وطنهم القومي وهم اصحاب الحق في هذا الوطن، «فكيف، اذن، يمكن الاتفاق مع قوم اجانب يعملون على نزع وطن العرب من ايديهم واقامة وطن وملك لهم فيه». وفي رد على قول العظم انه سيقنع وجهاء فلسطينيين لحضور مؤتمر التفاهم، قال نصار: «لو علم الزعيم ان مصائب فلسطين تأتيها من بعض سراتها اكثر مما تأتيها من الصهيونيين، لان هؤلاء هم سماسرة الصهيونيين والبياعين لهم، لما قال ان لجنة الحزب تسعى لدى السراة»[٩٦].

لقد دفعت مواقف الزعامات البرجوازية، من امثال رفيق العظم وحقي العظم، صاحب «الكرمل» الى فقد ثقته بكل الزعامات، ورأى في الشباب والفلاحين الامل الوحيد.

ولم تتوقف الاقلام المناضلة التي تضامنت مع نصار في الرد على الصهيونيين. فعيسى العيسى فنّد زيف دعاة التفاهم بالتقاط ما قاله نوردو، احد قادة الحركة الصهيونية، من «اننا، لمجرد أننا صهيونيون، لا يمكننا ان نمتزج او نندغم بالاهلين». وعن الادعاء باخلاص اليهود للدولة العثمانية، يورد العيسى من كتاب اوسشكين «برنامج الصهيونية ١٩٠٤» «... ان السبب في عدم نجاح الحركة الصهيونية [هو] لاننا لم نهتم باستمالة الدول الاجنبية للعمل من اجلنا، وقد